إذا درجت فيه الشمال تتابعت ذوائبه حتى يُقال غدير

ووصفه – أيضاً– لحركة الرُّقاق في يد الصانع:

مابين رؤيتها فيكفه كرة وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا بمقدار ماتنداح دائرة في صفحة الماء يُرمى فيه بالحجر"[١٩٩]

ففي البيتين الأولين، صورةٌ جميلةٌ "لجلس الكتان" وقد فضّل ابن الرومي كلمة "جلس" على "حقل" أو"مزرعة" لتمثيل المنظر كلّه واستيفاء كلّ جزء من أجزائه الحسّية، ناهيك عن تمثيل عناصر الصورة كلّها.

"فالحركة" يجّسدها تتابع الذّوائب واطّرادها بفعل الرّيح، فكأنها غدير اطّردت صُفحة مائه، "والمكان" يمثّله حقل الكتّان بحواشيه البليلة، وكان ذلك في الليل وقت الوسن، وهذا هو "الزمن" أما خضرة هذا النّبات فتمثّل "اللّون" كما أن نعومته تمثّل "الملمس"[٢٠٠]؛ "فالصورة كاملة لا تنقص منها سمةٌ من سمات المكان والزمان والحركة، ولاحظ من حظوظ العين واللمس والخيال، ومثلها صورة الرّقاق وهي تكبر في لمح البصر، كما "تنداح الدّوائر في صفحة الماء"[٢٠١].وكلّ هذا لأنّ الشاعر كان قوي الملاحظة، ذا جهاز حسّيٍّ دقيق، فكأنه في تصوّر العقاد "زجاجةٌ حسّاسةٌ شاملةٌ لاتخطئ، شيئاً ممّا يقابلها، وتصيبه لأنها حيّةٌ بالغةٌ في الحياة...."[٢٠٢]

فهذه الصور، وإن بدت فيها الحركة جليّةً، فقد عملت فيها حواسّ الشاعر ماوسعها العمل، ونُضيف إليها حاسّة السّمع في حركة الرّجل الأحنى وهو يتأهب للصّنع ويتجمع، أو في تخيّلنا صوت الصّنع ذاته، وصوت حفيف ذوائب الكتان، وهي تطّرد مع الرّيح، وصوت كرة الرّقاق وهي تتكوّر بين كفّي الصّانع لتصبح قوراء كالقمر.

وهذه الصورة كلّها إنعاشٌ لحالة من حالات ابن الرومي النفسية لحظة الهدوء ولحظة التوتّر، يستشفّها العقاد من خلال رافدين من روافد طيرته،

---

[١٩٩] العقاد، عباس، ابن الرومي حياته من شعره، ص : ٢٥٨.
[٢٠٠] العقاد، عباس، يسألونك، ص: ٦١-٦٢.
[٢٠١] العقاد، عباس، ابن الرومي حياته من شعره، ص : ٢٥٩.
[٢٠٢] العقاد، عباس، يسألونك، ص ٦٢.